بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

« ربّنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا »

« لا عِلْمَ لنا إلا ما علّمتنا »

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبدالله الهاشمي القرشي العدناني ، المبعوث رحمةً للعالمين ، وعلى أصحابه وأنصار دينه الأولين ، ما ذرّ شارق ودرّ بارق ، ونودي في العالم الاسلامي في حاضره ، كما نودي في غابره ، ايام صلاح الدين : يا لثارات المسجد الأقصى وفلسطين !!

اما بعد ، فهذه الطبعة الثالثة من كتاب « حاضر العالم الاسلامي » نقدّمها الى القرّاء الكرام في الآفاق الاسلامية في المشارق والمغارب ، آسيوياً وافريقياً ، وديارَ مهجرٍ في سائر القارات ، سنة ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١م بعد مضيّ ست واربعين سنة على صدور الطبعة الأولى في القاهرة ،

« بالمطبعة السلفية »[1] ، وبعد مضيّ ٣٨ سنة على صدور الطبعة الثانية في القاهرة بمطبعة السادة « عيسى البابي الحلبي وشركاه » . وهـــذه الطبعة الثالثة تصدر في بيروت ، تصدرهـــا مؤسسة « دار الفكر » للطباعـة والنشر والتوزيع .

وكنت اتمنى تمنياً حاراً ان يكون واضع المقدمة لهذه الطبعة الثالثة ، مَنْ وَضَـع المقدمتين ، للطبعتين الأولى والثانية ، العَـلَـم الخطّـار ، والكوكب السيّـار ، أمير البيان الأمير شكيب ارسلان، المتغمّـد بالرحمة والرضوان ، الراقد في مثوى الارسلانيين آبائه وجدوده، في «الشويفات» قرب بيروت ، وقد مضى على وفاته ربع قرن :

ولله الأمر من قبل ومن بعد .

فاني أستوحي من روحه،طيب الله ثراه . وشمعتي الضئيلة فيما أكتب الآن تستضيءُ من مناره، ولا سَـفَـر مهما يكن قريباً،دون الاهتداء بنجمه.

وممّـا يغني عن شرح هذه المقدمـــة ، ان الطبعة الثانية تضمنت المقدمات التالية :

---

(١) لصاحبها الموقظ، صدر الكتاب الروّاد في النهضة الاسلامية في هذا العصر الاستاذ العلاّمة محب الدين الخطيب ؛ رحمه الله،منشىء مجلتي «الزهراء» الشهرية و«الفتح» الاسبوعية ، في القاهرة ، وناشر العدد الوافر من قيّم كتب السلف والتراث العربي الاسلامي ، والمجاهد بقلمه لا اقل من ستين سنة في دمشق الشام والآستانة والقاهرة ومكة المكرمة . وفاتـــه في القاهرة قبل سنتين تقريباً عليه رضوان الله .

١) « مقدمة الطبعة الثانية» لامير البيان في ٣ صفحات يراها القارىء بعد هذا مباشرة . كتبت في جنيف في ١٥ ذي القعدة ١٣٥١ .

٢) « مقدمة الطبعة الأولى » لامير البيان في ٦ صفحات . كتبت في مرسين في ٢٥ شعبان سنة ١٣٤٣ ـ ٢١ مارس سنة ١٩٢٥ .

٣) مقدمة المترجم في صفحة واحدة.

٤) تمهيد المؤلف في اقل من صفحتين (لاتدخل في هذا مقدمة الكتاب للمؤلف لوثروب ستودارد وهي في ٢٣ صفحة)

* * *

أسباب صدور هذه الطبعة الثالثة بمادة الطبعة الثانية :

١ً ـ قبيل وقوع الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩! كان يُراد إصدار طبعة ثالثة ، فحال دون ذلك القلق والاضطراب والثورات الدامية في فلسطين ، وفلسطين مستوطني الحبيب منذ ١٩٢٠ ، ثم وقوع الحرب واستمرارها ست سنين تقريباً.

٢ً ـ لم يقع في امر هـذا الكتاب ان اجتمع المؤلف وأمير البيان ، والمترجم والطابع في بلد واحد للتعاون القريب . فامير البيان دائم المقام في اوروبا مع التنقل والسياحة احياناً في اوروبا نفسها ، وبعض سفرات الى الشرق عندما تتهيأ الأسباب. ولم يكن من الممكن فنياً اخراج الكتاب في بلد غير مصر . فصلاتي بالأمير الجليل ومصر ، كان معظمها بالبريد . ولذلك حجزت الحرب الثانية بيننا وبين التفرغ للطبعة الثالثة . ولما

انتهت الحرب وعاد امير البيان الى لبنان أواخر ١٩٤٦ ، وكان البريد قد توقف بيننا طول تلك السنين ، كان اقصى مرادي العمل لاصدار طبعة ثالثة ،ولكن الله جلّ وعلا وله البقاء،اختار عبده المؤمن المجاهد شكيباً الى جواره بعد وصوله الى لبنان بنحو من اربعين يوماً . وكان ذلك الخطب العظيم ، رزئت به العروبة والاسلام. ثم دخلت فلسطين في يومها العصيب الذي انتهى بما رآه العالم الاسلامي من امرها الجلل سنه ١٩٤٨ ، فانتقلتُ من القدس الى عمان قهراً وكرهاً ، وطال مقامي في عمان عشر سنين حتى عدت الى لبنان أواخر ١٩٥٩ ، وفي خلال وجودي في عمان روجعت من عدة جهات لاصدار طبعة ثالثة ، فلم تتهيأ الأسباب .

٣ً ــ بين ١٩٣٣ و ١٩٧١ مدة ٣٨ سنة، وفي خلال هـذه المدة حدثت الاحداث الكبرى في العالمين العربي والاسلامي،فمحيت مصورات جغرافية واحدثت مصورات جديدة ، وما كان في « حاضر العالم الاسلامي» مماشياً للماضي والحاضر امسى في حكم الغابر : ونظرنا في امر يحتمـــه الزمن، والتاريخ ، وهو ان نصنع شيئين اذا كان ذلك مستطاعاً :

الاول : ان نسجل لكل بلد اسلامي احداثه منذ ١٩٣٣فصاعداً حتى اليوم لكي يكون لكل بـــلد صورة تطوره من الوضع الذي كان عليه قبل ٣٨ سنة ، الى الوضع الذي آل اليه في يومه الحاضر ــ الحرية والاستقلال .

الثـاني : ان نعيد ترتيب مـــادة الكتاب ، فصولاً للمؤلف

وتعليقات لأمير البيان ، ترتيباً أرعى لمصلحة القارىء تسهيلاً وتيسيراً .وهذا امر ملاحظته بادية لكل قارىء.

فلم يكن ذلك مع الأسف ممكناً . فمن جهة تسجيل الاحداث لكل بلد اسلامي ، وجدنا ان هذا العمل يحتاج الى اجهزة واسعة تستطيع الاتصال بحكومات العالم الاسلامي للحصول على المعلومات الضرورية من ينابيعها، وهذا الاتصال بحكومات العالم الاسلامي لا سبيل اليه الا بواسطة احدى الدول الاسلامية التي تتبنى معاونة هذا المشروع، او بواسطة جامعة الدول العربية . ولما عزمت « دار الفكر » في بيروت على اصدار الطبعة الثالثة، ضاق الوقت عن محاولة ذلك .

واما ما يتعلّق باعادة ترتيب مادة الكتاب ، فقد كان ذلك ممكناً ، ولكن هنا ضيق الوقت ايضاً حال دون ذلك كما في السبب الاول .

* * *

فلم يكن بدٌّ ، والحالة هذه من الابقاء على مادة الطبعة الثانية كما هي ، واخراج هذه الطبعة بطريقة « الاوفست » ، نقيـــة ناصعة على ما يرى القارىء . وتمتاز هـذه الطبعة بفهرست للاعلام ، خلَتْ منـــه الطبعة الثانية .

مزايا « حاضر العالم الاسلامي» اليوم :

نستطيـع ان نوجز ذلك،والقارىء الكريم شريكنا في النظر والحكم:

١ً ــ كان المؤلف لوثروب ستودارد منصفاً عادلاً على الغالب في آرائه واحكامه ، كما شهد له بهذا أمير البيان . صبغة المؤلف في البحث علمية ، لا غير . واخطاؤه قليلة ، اشار اليها امير البيـان في مواضعها . والابحاث تغطي حركات الانتفاض والثورة ، ومجرى التطور في العالم الاسلامي في مدى القرن التاسع عشر الميلادي والعقدين الاولين من هذا القرن .

٢ً ــ كان المؤلف يود ان يخرج بالانكليزية طبعة ثانية منقحة مزيدة، كما اخبرني هو بنفسه لما جاء فلسطين سنة ١٩٢٤ سائحاً مستطلعاً احوال العالم العربي وكان ينوي أن يضمّ الى ابحـــاثه الجديدة ما استفاده من مقابلاته لعددٍ كبير من رجالات العرب والمسلمين . والمؤلف وافر الحصافة بعيـــد النظر دقيق الملاحظة . واذكر اني لما سالته في احد مجالسي معه في بيت المقدس ما الذي جعله يكتشف تلك القيم في السيد جمال الدين الأفغاني ، قال : « كنت الاحظ في اثناء جمع مادة ترجمته وسيرته ، ان الرجل ما دخل بلداً الاواشعل النار فيه . ودك العروش عنده كدك الخيـــام . فجمعت كل ما استطعت جمعه من الاقوال فيه بجميع اللغات الاوربية ونخلته فاذا به اكبرثائر عقلي في المسلمين في القرن الماضي » . ولكن الله الذي توفى شكيباً أواخر ١٩٤٦ في لبنان ، توفى المؤلف ستودارد بعده باربـع سنين ، سنة ١٩٥٠ فحرم العالم الاسلامي المزيد من فضل هذين الرجلين. (ترى ترجمة ستودارد في نهاية هذه المقدمة) .

٣ً ــ كان من مشيئة الله والقضاء والقدر ، ان تقـع الاسباب ، واذا اراد الله امراً هيـّا اسبابه ، اتجتمع في هذا الكتاب العبقريتان : عبقرية

المؤلف المنصف ، وعبقرية الموسوعي المتفرّد الأمير شكيب ارسلان . فلما اجتمعت العبقريتان معاً في صعيد واحد ، اكتسب الكتاب ما لم يكتسب مثله غيره في هذا العصر . اما المؤلف فاني ساوجز ترجمته في سطور بعد قليل وقد تلقيتها مسهبة من رفيقة حياته في الدنيا منذ خمس سنوات ، وقد طلبتُ ذلك منها اذ كنت اعدّ الامور للطبعة الثالثة . اما امير البيان ، فاني اوجز هذة الناحية المتعلقة « بحاضر العالم الاسلامي» من جهته ، واحسب ان القارىء يلذّ له سماع هـذا : « حديثه أو حديث عنه يطربني » .

٤ً – اني بعون الله تعالى قدهيأتُ تاريخاً لحياة الأمير شكيب، طويته على المنار البارز من نضاله وجهاده ، في مراحل حياته كلها، مع مجمل القول في ارومته العربية ، كما هو وارد في سجل النسب الارسلاني المنذري اللخمي منذ الفتح . وفي « حاضر العالم الأسلامي » ، دع عنك سائر كتبه الواسعة العباب ، أرّخ الأمير وترجم لعشرات من الرجالات : من ملوك وامراء ورؤساء ، وامراء وقواد، ومصلحين وثائرين ومحررين ومجاهدين، وعلماء وشعراء ومؤلفين وادباء وغيرهم من هذه المعادن والطبقات في العالم الاسلامي الآسيوي والأفريقي ، وهو ، رحمه الله ، اول موقظٍ مسلم من هذا الطراز في عصرنا هذا ، عصر الغارة على العالم الاسلامي ، كَشَفَ الستار عما كان يجري في افريقيا خاصة لتنصير المسلمين. وذكر انه لما كان يعدّ التعليقات المستفيضة على الموضوعات ومسائلها وقضاياها ، كان مضطراً الى مطالعة عشرات المصنفات بل مئاتها بلغات مختلفة ليستقي من

رأس الينابيع . فأقلّ ما يحق علينا لهذا الشهاب الثاقب بفكره وعقله ، المجاهد بقلمه وبدنه ، ستين سنة ، باطّراد ، ان نحاول بكل تواضع وفاءه رمزياً بوضع تاريخ لحياته ، بمجمل ، ولله الحمد والمنة .

فالقارىء المستهام بارسلان لا يجد بغيته هذه في هذه المقدمة للطبعة الثالثة التي تصدر بعد مضيّ ربع قرن على وفاته ، اذ لا مجال لذلك هنا ، والأمر واضح . ولكننا نضع امام القارىء الكريم ، صفوة ما يتعلق من أمر امير البيان بكتاب «حاضر العالم الاسلامي» من جملة نواح ونعتقد ان القراء الذين اطلعوا على الكتاب في طبعتيه الأوليين يهمهم كشف الحقائق التي لم تكشف بعد ، ويقيننا ان في أنفسهم كل الشوق الى هذا .

تاريخ حياة الأمير شكيب

اما تاريخ حياة الأمير شكيب ففيه تفصيل لمعظم ما رأى الرجل المجاهد ، الصابر المؤمن ، من مراحل ايامه من آلام وعبر ، وشدائد كادت تودي بحياته على يد احمد جمال باشا قائد الجيش الرابع ، وكان هذا القائد العسكري طوراني الغاية ، طاغية في كل ما يمتّ بصلة الى المخطط الطوراني العنيف ، وقد استبد الرجل بحكم سوريا ولبنان وفلسطين والاردن قرابة ثلاث سنوات في الحرب العالمية الاولى . ونحن باذلون اقصى جهدٍ لاخراج هذا الكتاب باقرب وقت ممكن ان شاء الله .

* * *

قصة هذا الكتاب

جئت بيت المقدس من دمشق في خريف ١٩٢٠ ابتغي بلداً عربياً احلّ فيه ، بعد خروجي من لبنان وسوريا ، وفي هـذين البلدين امست فرنسا البطاشة . وفي دمشق اقمت الفترة العربية كلها من تشرين الاول ١٩١٨ ـ تموز ١٩٢٠ وكان مرادي ان اذهب الى العراق ، ولكن الوصول اليه في ذلك الوقت كان صعباً شاقاً ، فلا سيارة ولا طيارة ، ولا استطع ركوب البحر لطول المسافة وتعقد وسائلها وكثرة نفقاتها . فاشار عليّ اخواني في دمشق ان آتي فلسطين ، فلعلّ وسائل الانتقال منها الى العراق اسهل . ولم اكن اعرف شيئاً من فلسطين عن كثب الى ذلك الوقت ، سوى ما احفظه في ذاكرتي من المعلومات التاريخية والجغرافية عنها ايام الدراسة في لبنان . ولكني منذ الصغر والنشأة الأولى كنت اشعر بهواجس في نفسي نحو فلسطين ولا ادري علة ذلك . وبيتنا في « رأس المـــتن » مشرف على ذلك الوادي الذي فتن الشاعر « لامرتين» الفرنسي لما زاره في القرن الماضي حتى صار يطلق عليه بلغة الشعر « وادي لامرتـــين » ، وهو بيننا وبين بحمدون وصوفر وبعلشميه،المصايف المشهورة. وطبيعة لبنان في هوائه ـ صيفاًوشتاءـ يستطيع اللبناني الصغير ان يفهم معجمها دون استاذ ومدرسة ، فكانت كل يوم تقريباً تطلع الغيوم البيضاء من الجنوب ، لا من جهة البحر للغرب ، وتنسحب وتتراكم في الجوّ ، وتتقطع وتتناثر ، وتتألف منها مناظر خلاّبة.فلما سالت الاستاذ في مدرسة القرية عن هذا قال لي تلك الغيوم من البحر الميت . فازددت حباً لفلسطين عن

طريق الغمام اولاً .

ركبت القطار من دمشق الى حيفا ، فلما وصل بنا القطار الى وادي اليرموك اجتازه لأول مرة في حياتي ، ثارت هواجس نفسي من جديد ، ولكن الآن الذكريات محرقة : موقعة اليرموك ، وكانت بوابة الفتح ، كانت هنا ، وفي المساء وصلت حيفا وشاهدت « جبل الكرمل » فوجدته تلة بالنسبة الى جبال لبنان . فبتّ في حيفا ، وثاني يوم صباحاً ركبت القطار الفلسطيني الى القدس فوصلت بعد الظهر فهالنى ان ارى بيت المقدس مدينة ، على كتفيها لا اقل من خمسة الآف سنة ، وهي كلها من الحجر ، وفي دمشق مدينة الدهور والازمنة ، لم يكن فيها اكثر من عدة مبانٍ حكومية من حجر !! وبقيت بضعة الايام الاولى لحلولي في بيت المقدس اجتلي حسن تقاسيم وجهها ، ومرابض تلالها واوديتها ، وزرت الحرم القدسي الشريف فدهشت؟!! قبة الصخرة آية. المسجد الاقصى وتد الله المبارك . ولكنى ذعرت حقاً لما رأيت ما يسمون باليهود وهم بغاث يحاولون ان يستنسروا . فلم يكن في دمشق رائحة للصهيونية ، ويهود دمشق قبضة منكمشة في « حارة اليهود » شأنهم في مدن الشرق قاطبة.

ولما سالت عن الطريق البرية الى العراق ضحك الناس مني ! وكنت آخر ليلة لي في دمشق قد تعرفت مصادفة ، بمظهر (باشا) رسلان [1]

---

(١) من رجالات سوريا العاملين في الحركة الوطنية ، وكان من المخضرمين الذين ثقافتهم صبغتها تركية لتخرجه من معاهد الآستانة ، ولما تعرفت به كان ينوي العودة الى الصلط حيث مقرّه ، ثم عمل في الادوار الاولى من الحكم الاردني ايام حزب الاستقلال العربي وتوفي ١٩٤٨ ابان معترك فلسطين رحمه الله.

(لا ارسلان) في فندق خوّام ، وهو وقتئذٍ حاكم البلقاء العربي مرجعه دمشق ايام فيصل والاردن كان تابعاً لسوريا ، ولكن بعد حوادث تموز ١٩٢٠ ودخول الجنرال غورو دمشق ، تغيّر الوضع ، اذ معاهدة « سايكس ـ بيكو » تفصل بين المنطقة العربية السورية التي خرج منها فيصل بن الحسين وبين المنطقة الجنوبية التي هي الاردن ـ بخط قرب (درعا ـ حوران) فبعد خروج فيصل من دمشق انقطعت المنطقة الجنوبية ـ شرق الأردن ـ عن دمشق ، فالقى الانكليز ظلهم عليها شيئاً فشيئاً ، وذهب هربرت صموئيل اليهودي الصهيوني أول مندوب سام بريطاني الى شرق الاردن ليدرس كيف تنشب المخالب فيه. فحار حاكم البلقاء العربي في أمره ، فلا دمشق بقيت كما كانت عربية ، ولا هو مستعد ان يستقبل الانكليز ليحلوا محل دمشق الاّ مغامراً ، والفرنسيون امسوا في سوريا ، فجاء مظهر ارسلان الى دمشق ليعلم مسيره ومصيره. فلما تعرفت به آخر ليلة سرني ذلك جداً ، وأنست بلقائه ، ولم اكن اعرفه من قبل ، ولما اخبرته خطتي ونيتي ، ووقف على صلتي بالامير عادل ارسلان ورشيد طليع ، طلب مني اني اذا بلغت القدس ان ازوره في الصلت لاعمل معه والحّ عليّ في ذلك الالحاح كله . وزاد في الفضل انه زودني من تلقاء نفسه بكتاب وصاة بالتركية الى السكرتير المدني « مستر ديدز »[1] في حكومة

---

(١) مستر ديدز هذا كان اول سكرتير مدني للمندوب السامي بعد الحكومة العسكرية التي انتهت في اول تموز ١٩٢٠ وانما هو يعرف التركية جيداً لانه كان قبل الحرب في بعثة بريطانية الى تركيا لتنظيم الدرك فأقام في تركيا عدة سنوات .

فلسطين ، وعرّفه بي وبنيتي العراقية . ولم اكن الى ذلك الوقت اعلم شيئاً عن أي «مستر» من «المساتر» في فلسطين .

* * *

لا يغيب عني اني لست هنا أدوّنُ ذكرياتي ولا تسجيل مذكراتي ولكني معنيٌّ بالخيوط التي منها نَسَج لي القضاء والقدر ثوباً ألبسني بخير وبركة حتى اليوم – في فلسطين . من ذلك « حاضر العالم الاسلامي »

* * *

في بيت المقدس ١٩٢٠

وثاني يوم وصولي بيت المقدس ، ذهبت الى « جبل الطور » حيث مقر الحكومة [١] وقابلت نائب المندوب السامي وكان يقال له «السكرتير

(١) لما زار الامبراطور غليوم الثاني فلسطين وبيروت ودمشق سنة ١٨٩٨ اهداه السلطان عبدالحميد قطعة أرض قرب « علّية صهيون» في القدس فانشأ الالمان اللاتين كنيسة ضخمة في هذا المكان . كما دشن غليوم في أثناء زيارته للقدس كنيسة المانية جديدة قرب « كنيسة القيامة » . وبمناسبة هذه الزيارة بنى الالمان في جبل الطور صرحاً عظيماً مؤلفاً من عدة مبان لاغراض دينية وغيرها . وهذا الصرح كان يقيم فيه القائد جمال باشا «السفاح» ايام وجوده في القدس . والامير شكيب دخل هذا الصرح مراراً في ايام الحرب الأولى . وبعد ١٩١٧ اقامت السلطة العسكرية البريطانية فيه الى ١٩٢٠ ثم اقامت فيه بعد ذلك الحكومة المدنية الى ١٩٢٧ فانتقلت منه بسبب الزلزال ، وفي هذا المقر قابلت مستر ديدز في ايلول ١٩٢٠ .

المدني » مستر ديدز . ودهشت من لطفه وشدة ترحيبه بي وأنا آتٍ من دمشق ، فقال لي ان « مظهر باشا » سيعود الى الصلت بعد مُدة مديدة ، وهو سينتظرك هناك واما انت ، فكيف سبيلك الى العراق ؟ فهذا مستحيل اليوم . فابق في القدس ، ريثما يتيسر لك السفرِ البري الى العراق ، او الوصول الى الصلت ، وفي اثناء مدة بقائك في القدس ، لا بأس ان تتسلى بعمل حكومي مؤقت عندنا ، وهذا كتاب مني الى مدير المالية ، فاذهب اليه فوراً .

وبعد مناقشتي هذا الاقتراح مناقشة واقعية سريعة ، وجـــدت ان عودة مظهر الى الصلت قد تتراخى الى اسابيع ، وكي لا اقع في ازمة مالية خاصة وانا غريب في بيت المقدس ، اجبت مستر ديدز بالشكر والقبول ، فكتب الكتاب فوراً وسلمنيه وودّعني الى الباب . وثاني يوم بدأت عملي في المالية على « جبل صهيون » .

* * *

أسال عن الأمير شكيب

قبل خروجي من الشام ، وفي اثناء ١٩٢٠ كنت اسأل في « أي دنيا » الامير شكيب في اوروبا ، اذ تقطعت الاسباب ، والعالم لم يزل كسفينة تغالب الريح . والحرب قائمة بين مصطفى كمال واليونان في الاناضول ، و « روسيا البيضاء » بمددٍ وعون من « الحلفاء » ثارت على روسيا التي كان

يقال لها وقتئذ « البولشفيكية » . وايران كانت تتخبط في أمورها الداخلية . ومصر لم تسكن بعد الا سكون النار تحت الرماد .

وكنت اقرأ في تلك الغضون اخبار مجيء « سير برسي كوكس » الى بغداد ليمهد لفيصل بن الحسين ، وفي الجزيرة العربية ، وبعد قليل نرى عبد العزيز آل سعود يستولي على « حايل » ويصفّي ابن الرشيد ، وهذا اول صعود ابن السعود الى المملكة العربية .

اما الامير شكيب فقد كان بلغني من اصدقائي في دمشق ان « المكاتبات الاخوانية » عادت الى مجراها القديم بينه وبين اصحابه ، ولكني بعد قليل في القدس علمت انه في المانيا ، وآخر مرة رأيته فيها في لبنان كان ١٩١٦ في « صوفر » ، وله في صوفر بناية وفيها مقهى وكان يجلس في هذا المقهى لمطالعة الصحف . وغدوت اتنسّم اخباره بشوق ، فصار كثير من الناس في القدس اول ما يسالونني ، عندما يعرفون اني من لبنان : اين هو الامير شكيب ؟

اول صلتي بالأمير شكيب

وأوجز قصة صلتي بالامير شكيب في لبنان: فاني نشات وانا اسمع وارى الناس في المجالس كلما أتوا على ذكره، تهللت منهم الوجوه ولوّحوا بالايدي اكباراً له باعتباره شاعراً لا يجارى ، ولم يكن غير المثقفين يدركون انه كان قبل بضع سنين يناغي محمود سامي البارودي في الشعر المنتفض من العصر العباسي . ولم يكن الامير شكيب ينشر من شعره في لبنان كثيراً،

الا في كبرى المناسبات . وكنت اول تذوقي الشعر اقرأ شعر امين ناصر الدين صاحب جريدة « الصفاء » في لبنان الجبل ، وشعر بشارة عبدالله الخوري الذي عُرف فيما بعد « بالاخطل الصغير » .

ولما وقعت الحرب صيف ١٩١٤ لم اكن قد رأيت الأمير شكيباً بالعيان بعد وانا مشتاق الى ذلك ، وانا طالب في المدرسة الداخلية في برمانا [١] . ولكنني كنت سنة ١٩١٤ قد قرأت ما استطعت من كتابات المنفلوطي وامين الريحاني ، وما قاله الاول عن شعر الامير شكيب وطبقته في « مختارات المنفلوطي » [٢] .

ولم تدخل الدولة العثمانية الحرب الى جانب المانيا الا في الخريف ، فجاء احمد جمال باشا قائداً عاماً أواخر ١٩١٤ بدلاً من زكي باشا الحلبي الذي نقل « ياوراً عسكرياً » الى بلاط الامبرطور غليوم . وما لبث احمد جمال طويلاً حتى اخذ بالتحريض على مهاجمة « الترعة » ـ السويس ـ وانتشرت الدعوة في البلاد الى هذا ، وكان الامير شكيب قد اعلن انه تطوع بكتيبة

(١) الى سنة ١٩١٤ لم يكن في لبنان الا المدارس الخاصة ، ومعظمها « تبشيري » انجليزية أو فرنسية ، وليس للحكومة اللبنانية مدارس تذكر ، وانما الأتراك حاولوا بعد ١٩١٦ انشاء مدارس حكومية على منهج تركي . وكذلك لم يعرف لبنان حتى ١٩١٦ شيئاً من معنى « دائرة الاشغال العامة » او « الصحة العامة » .

(٢) منذ الدستور العثماني ١٩٠٨ فصاعداً عمت سوريا ولبنان موجة الاقبال على الافكار الحديثة والاساليب الكتابية العصرية ، وكانت كتابات المنفلوطي في هذه الناحية في الطليعة .

لبنانية وهو زاحف مع الجيش . وآل ارسلان كان بيتهم وقتها يمثله «الامير مصطفى» ، ويناديه شكيب ابداً «بياعمي» ، وبعد الأمير مصطفى ، الامير شكيب ، الاديب ، الشاعر المفلق، «السياسي العثماني». اذا مشى في الناس ، مشى بتؤدة ورزانة ، وعلى عينيه «نظارتان» (عويتات) ذهبيتا الإطار ، ومن احد الطرفين تتدلى سلسلة، ذهبية رفيعة الى صدره ، وقامته كالرمح . سنة ١٩١٤ كان في الخامسة والاربعين .

* * *

واخذ يجول في قرى لبنان داعياً الى التطوع . و «الشوف» و «المتن» في لبنان هما مسرح النفوذ الارسلاني والجنبلاطي . وقريتي المسماة «رأس المتن» باتت تنتظر وصول الامير شكيب ، فلما وصل بات ليلته عند الشيخ حسين تقي ،ودار جدي لوالدي ملاصقة لدار بيت، تقي، وامام الدارين ساحة . ولا نعلم المدة التي يمكثها الامير في القرية . ولكن في صباح اليوم التالى قيل ان الامير شكيباً يريد ان يجتمع بالناس في الساحة فاحتشد الناس من كبار وصغار ، وهمّهم ان يروا الامير ابن ارسلان اكثر من «النزعة» والتطوع . وكان الشيخ حسين ووالدي يعرفان الامير من قبل ، وكان الشيخ حسين يحفظ حصة من شعر الامير ، يتغنى بها امام الناس ، ولكنه لا يبالي بقواعد الصرف والنحو .

فذهبت مع والدي الى الساحة ، وحضر الشيوخ والشبان جميعاً من الحيّ كله فوقع نظري على الامير شكيب لأول مرة ، ولما بدأ يتكلم داعياً

الى نصرة « الدولة » احسست كان الكلام يخرج من قلبه لا عن طريق لسانه . فارتعشت . وكان جدي قريباً منه ، وانا واقف قرب جدي. فلما انتهى الأمير من خطبته ، تقدمت خطوة أو خطوتين حتى صرت في مقابلته ، والقيت خطبة (ارتجالية) بين يديه ضارباً على وتر التطوع ، مستمداً من رباطة جاشه كل ما قلت . ولما انتهيت ، وانا احسب نفسي نلت المنى برؤيتي الامير شكيب والخطابة بين يديه ، في اكبر حشد رأته القرية في ذلك الصباح ، ما رأيته الا يسأل الشيخ حسيناً عني فلما علم اني ابن فلان ، واني في مدرسة (برمانا) غمرني بابتساماته الحلوة وبشاشاته المشجعة وقرّبني منه ، وكرمني بثناء لا استحقه على مسمع من الناس ، وجعل الناس يهتفون باسمه ، واوقفني في الحلقة الى جانبه مبالغة في تشجيعي وتكريمي ، فطرت من الفرح ، وها قد مضى على تلك الساعة ما مضى ، وما زلت اشعر ببهجتها وغبطتها. وسألني الى أي مدرسة تذهب بعد ان اقفلت مدرسة « برمانا » ابوابها (لأنها انجليزية) فقلت له اني ساذهب الى مدرسة « سوق الغرب » الاميركية . فدعا لي بالتوفيق .

انور وجمال والامير شكيب في عاليه

لما جاء انور باشا وزير الحربية الى لبنان وسوريا ، وتابع رحلته الى المدينة المنورة سنة ١٩١٦ ، وانور صديقه الحميم منذ أيام طرابلس الغرب (ليبيا) ١٩١١ ـ ١٩١٢ اقام الامير شكيب لانور استقبالاً حافلاً في «صوفر» ، ثم في «عاليه» وكان اخوه الأمير عادل «قائمقام الشوف» وقتئذ ومركزه عاليه ، وبين عاليه وسوق الغرب مرمى حجر وكان مع انور

احمد جمال ، وثلّـة من كبار الضباط الألمان . وجئنا نحن طلاب المدرسة لنشترك في هذا الاستقبال الرسمي الشعبي الرائع ، والناس باسلحتها تملأ الأرض كلها يقدرون بأكثر من عشرة آلاف ؛ فلما وصل انور بسيارتـه المكشوفة ، والآن ارى السيارة في حياتي لأول مرة ، ترجّـل وترجل معه احمد جمال وكبار الالمان، فقلت : اغتنم هذه الفرصة لارى « انور »واحمد جمال ، والأمير شكيباً معاً . فدنا « انور » من احد الرجـــال المسلحين الواقفين صفوفاً على جانب الطريق ، يريد محادثته محادثـــة «تلطيف» وتشجيع ، فجاء الامير شكيب مع انور للترجمة ، وشاء حسن الحظ ان يكون ذلك الشخص الذيْ اقترب منه انور هو «عمي» وانا بجانبه ، فلما رآني الأمير بادرته بالتحية ، فهشّ لي وبشّ رغم دقـــة الثواني في هذه اللحظات ، وكان حديث بين انور و« المسلح » لا يتسع المـكان له هنا . ثم اني رأيت الأمير شكيباً في لبنان بعد هذه الحفلةالسنوية مرتين في صوفر، وانا مع صديق والدي الشيـخ عباس صالحة من اعيان « المتن » واصدقاء الأمير. ثم بعد ذلك لم اره الا سنة ١٩٣٤ في بيت المقدس .

* * *

نفوري من اليهود في فلسطين

بعدنحو اسبوعين من مقامي في بيت المقدس،اعمل موظفاً في دائرةالمالية وأنا اسال عن مظهر باشا رسلان، وجدت ان النفوذ اليهودي في الحكومة شيء لا يطاق . غطرسة،وعجرفة وطاووسية يهودية لا نهاية لها.وصارت

ذكريات دمشق العربية تهيب بي الى الانعتاق ، فقدمت استقالتي الى المدير فلم يقبلها ، ثم دعاني الى مكتبه وراح يسألني عمّا انوي عمله بعد الاستقالة لو قُبلت ، فقلت له ، وهو بريطاني لا يهودي ، اني اريد الذهاب الى شرق الاردن ، الى حكومة عربية ، واذا تمكنت فالى العراق . وكان الأنجليز على الجملة في حكومة فلسطين الجديدة ويرأسها هربرت صموئيـــل اليهودي الصهيوني من اول تموز ١٩٢٠ ، في حيّزين : حيز يعطف على العرب عطفاً كامناً لا يستطيع الجهر بـــه ، وحيز المماشاة للسياسة الصهونية . ونُقل كثيرون من الادارة العسكرية الفلسطينية التي كان يشرف عليها الجنرال اللنبي في مصر الى الادارة المدنية ، ومعظم هؤلاء كانوا يكرهون اليهـــود .

فقال لي المدير : اني لا اقبل استقالتك ، ولكني احتفظ بها في الدرج وامهلك بضعة ايام تذهب في خلالها الى السلت ، فان عدت الى القدس في خلال اسبوع ، عدت الى عملك ، وان لم تعد ، تقبل استقالتك . ثم زودني بكتاب وصاة الى المعتمد البريطاني الذي في السلت . فشكرته ، وذهبت ثاني يوم الى الصلت ، فبقيت النهار كله مع رفاقي الركاب في سيارة «فورد» من مخلفات الجيش ، حتى وصلت السلت[1] مساء فوجدت مظهر باشا لم يعد بعد ، وبتُّ في السلت ضيفاً على أحد الكرام ، وثاني ليلة عدت الى القدس ، وصباح اليوم الثالث جئت الى عملي في المالية ، فدخلت على المدير ، فلما وقع نظره عليّ قال مستغرباً : لمـــاذا لم تذهب الى السلت ؟

---

(١) واليوم تقطع المسافة من عمان الى القدس بساعتين ، ومن السلت باقل.

فقلت له ذهبت وبت هناك ليلة ورجعت ، وسألني السبب فأخبرته ، فهزّ برأسه وقال : « لم تصدقني ان هنا احسن لك » . وبقيت نحواً من سنتين اعمل في حكومة فلسطين ، حتى ذقت الأمرين كل يوم عشرين مرة من تنمر اليهود وثعلبياتهم . في ربيع ١٩٢١ أو بعد حلولي بالقدس بنحو نصف سنة ، احتشد في عمان رهط من رجـالات العرب الذين كانوا في دمشق . رجال هذا الرهط حاولوا العمل مع الملك عبدالله (الامير وقتئذٍ وحتى ١٩٤٦) الذي قدم من الحجاز في ذلك الربيع فاستقر في الاردن ، وكانت أول حكومة تالفت في الأردن بعد مجيء عبدالله ، هي التي ألّفها رشيد طليع « مدير الداخلية » « ووالي حلب » في الحكومة العربية في سوريا أيام فيصل ، وطليع من نبغاء الأمة العربية [1] . فكتبت اليه من القدس اعرض عليه خدمتي ، شاكياً له اشواك الخاصرة في فلسطين ، فاجابني بانه يطلبنى باول فرصة، ولكن حكومته الأولى هذه، وكانت لا تسلّم للانجليز بما يريدون ، لم تعش الاّ بضعة اشهر، فبقي في الأردن بعد الاستقالة مدة ثم جاء فلسطين ثم ذهب الى مصر ، ولما نشبت الثورة سنة

---

(١) هو صديق الأمير شكيب وخرّيج معاهد الآستانة . تولى في عهد الاتراك مناصب ادارية عديدة ، وسنة ١٩١٣ كان «متصرف حوران» ، فلما ترشح الامير شكيب للنيابة عن حوران قدّم له طليع كل مساعدة . وبعد استيلاء الفرنسين على سوريا انزوى في جبل العرب حتى دعاه الملك عبدالله ١٩٢١ لتأليف أول حكومة فألفها ولكن الانكليز عارضوه، توفي وفاة شهيد في اثناء الثورة في جبل العرب سنة ١٩٢٦ وهو في الأخلاق العالية قليل النظير ، وفي اتقان الادارة فريد .

١٩٢٥ في جبل العرب جاء من مصر من اجلهـــا ، وهو في الوقت نفسه صديق قديم لقائد الثورة سلطان الاطرش . فذهب الى الجبل وتوفي بعد بضعة أشهر .

القضاء والقدر ساقني الى حاضر العالم الاسلامي

كنت في المطالعة أوثر جريدة «التيمس الاسبوعية»،«ومجلة المجلات» الانجليزية . ولم أكن استطيع شراء الكتب أول امري في بيت المقدس اذ حالتي المالية لا تساعد على ذلك. فجعلت اتردد على «جمعية الشبان المسيحية»[1] في القدس لاستفيد من مكتبتها ، ولكنني كنت اخشى سوء المغبة من هذا التردّد، لاني من ايام المدرسة في سوق الغرب لاحظت اني لا استطيع هضم وسائل التبشير لغير المسيحي .

وما كنت قد عرفت من وسائل التبشير حتى خروجي من لبنان الا البرتستانتي ، ومدرستنا « برمانا وسوق الغرب » من هـــذا النوع . وحصلت امور بيني وبين الجماعة في سوق الغرب آلمتني ، فقلت : اظلّ اتردد على المكتبة ما دام الجوّ صافياً ، فاذا اعتكر ، فليس لي الا المفرّ ، وكان مدير الجمعية في بيت المقدس رجلا محنكاً ، طويل القامة، وفي باطنه غير ما تقرأ في ظاهره ، اسمه « مستر شيفرز » .

(١) سنة ١٩٢١ على ما أذكر جاء أمين الريحاني وخطب في هذه الجمعية فسمعته خطيباً لاول مرة وكنت معجباً بكتابة « الريحانيات » اعجـــابي «بنظرات» المنفلوطي .

و « مجلة المجلات » الانجليزية كانت تعني بتقريظ القيّم من الكتب ، ففي ذات يوم وانا في المكتبة اطالع هذه المجلة ، اتاني « مستر شيفرز » وكلمني بغاية الايناس : مستر فلان،هل لك ان تتفضل باخذ هذهالبطاقة واعادتها موقعة اذا احببت ؟ ولما وقع نظري على البطاقة ادركت ما هي. ما يسمى « بالعهد » وبالانكليزية Pledge خلاصتها ان الموقع موافق على ان يكون عضواً مسيحياً في الجمعية ، مراعياً لنظامها ، غيوراً على غاياتها، مؤمناً.. .. ولما لاحظ مستر شيفرز انيلم ابال بالمسالة كثيراً عاد فسالني: ومتى يمكنك اعادة البطاقة موقعة ؟ فقلت له : بعد دراستها !! فتركني ومضى . فعدت الى المجلة اكمل مطالعة ما كنت بسبيله ، وهو كتابظهر حديثاً في بريطانيا واميركا اسمه The New World of Islam وكان التقريظ يملأ ثلثي الصفحة ، ولفتت نظري عبـــارة للمجلة في الثناء على المؤلف فقالت هو « ارميا القرن العشرين » .

فدوّنت في دفتر الجيب اسم الكتاب وعنوان دار النشر البريطانية وخرجت دون ان ارى مستر شيفرز . ونظرت في النهاية وقلت : اذا عدت الى المكتبة ، فان مستر شيفرز سيسالني عنالبطاقة، فبماذا اجيبه ؟ وبعد التفكير ، ابقيت البطاقة على حالها ووقعتها . ولكن بعد ان كتبت اسم « نبينا محمد صلعم » في المحل الذي ينبغي ان يكون فيـــه ، وجئت المكتبة وجلست اطالع حصة كبيرة ، وكدت اتمّ مطالعـــة ما اريد ثم اخرج ، فاذا بمستر شيفرز مقبل علي فقال : أوقعت البطاقة ؟ فقلت : نعم ، ولكن مع تبديل اسم باسم أو لفظة بلفظة . فاضطرب وقال : ما

الذي بدّلته ؟ وكنت جمعت اوراقي تحت ابطي ، فوقفت وقلت له: مستر شيفرز : كم سنة لك في الشرق ؟ فقال كذا وكذا من السنين ، فقلت له : انا اقدم منك بكثير في الشرق اوتدري كم عمري بالنسبة الى هذه البطاقة؟ فبهت واضطرب . فقلت له ان عمري هذه السنة ١٣٤٠ سنة . تفضل هذه هي بطاقتك Good bye Mr. Shivers .

* * *

اتفقت مع مكتبة انجليزية في القدس صاحبها اسمه « مستر كانن » على ان يحضر لي الكتاب بالطيارة . لمـــا وصل الكتاب استقلت من عملي في الحكومة صباح اليوم التالي ، ثم جئت « البانسيون » الذي كنت اقيم فيه وقلت للسيدة المسؤولة عنه : اريد مصباحاً (لم تكن الانوار الكهربائية قد عرفت في القدس بعد) يكفيني من المساء حتى الصباح فانني ساصاب بالارق هذه الليلة . فاعدّته وأتت به إليّ .

فخلعت ثيابي ، وهيات مصباحي ، واعددت شيئاً لعشائي،والساعة الثالثة بعد الظهر جلست في سريري اطالع الكتاب مطالعة عامة لاقف على مطوياته ، ، مطالعة الملم لا اكثر ، واذا بي اتلفت حولي فاجد النور قد خف والشمس في المغيب، فاشعلت المصباح ووصلت بياض النهار بسواد الليل ، وكاني مسافر على بساط ريح ، ثم تلفتّ ، فاذا بي ارى الصباح قد اطلّ ، وبعـــد ساعة كنت قد فرغت من الالمامة التي اردت . فاعجبت بالكتاب .

* * *

«حقوق الطبع» محفوظة، كما هي العادة ، ولا سيما في مثل هذه الكتب التي يدرسها الناشرون دراسة وافية قبل اخراجها ، فكتبت الى السيدة البريطانية الرحّالة روزيتا فوربس اسألها ان تكون معرّفا لي لدى الناشرين الانجليز ، الذين طلبت منهم الاذن بنقل الكتاب الى العربية اذناً واحداً لا يتعدد ويشمل العالم العربي . وكنت قد عرفت السيدة روزيتا في دمشق سنة ١٩٢٠ [١] ، اذ جاءَت تدرس الأوضاع السياسية ، من عربية وانجليزية وفرنسية ، وشرح لها (الامير) فيصل الحقائق كلها . كان يترجم لها توفيق مفرج . واما صلتي بها فمن قبيل المصادفة اني كنت صاعداً الطابق الثاني من فندق خوام ، فاذا بي ارى شيخاً عربياً نازلاً وكانه حائر يفتش على شيء . فاستوقفني بعد التحية وسالني أأعرف الانجليزية ، ولما اجبته بنعم سالني ببهجة الذي يلقى الفرج بعد شدة ، ان اذهب معه الى الصالون اذ عنده سيدة بريطانية، واخبره الأمير فيصل أن يحدّثها فجاءَت قبل أن يجيءَ من يترجم بينهما . فكان هذا الشيخ هو الامير نوري الشعلان من أمراء البادية . فذهبت . وبعد هذه الجلسة كلفتني السيدة روزيتا فوربس بان اترجم لها الاناشيد القومية العربية

---

(١) قامت روزيتا فوربس بعدة رحلات الى اليمن وافغانستان وصحراء ليبيا وغيرها . وفي رحلتها الى صحراء ليبيا كان رفيقها الرحالة المصري احمد حسنين المشهور ثم هو بعد ذلك قام برحلة اخرى وحده وروزيتا فوربس مؤلفة روائية. وبلغني في هذه السنوات الاخيرة انها التوت في ميولها العربية.

التي كانت تنشد في المدارس والمعاهد والتظاهرات والمواكب .ففعلت. ولم تترك هي دمشق آيبةً الى بلدها الاّ وقد تاكدت الحال بيننا،واعطتني عنوانها ، ولما جئت فلسطين كانت ترسل رسائلها الى بعض السيدات العربيات اللواتي يعملن في المضمار القومي ، بواسطتي ، الى داخل سوريا. لذلك لما اضطررت من جهتي الى الحصول على الاذن المتعلق بكتاب ستودارد ، كتبت اليها فجلبت لي الاذن موافقاً عليه من الناشرين الانجليز والاميركان جميعاً واخبرتني انه كان لدى الناشرين عدة طلبات من ادباء العرب من مصر والعراق وسوريا ، فكان طلبي هو أول ما وصلهم فلبوه .

لما تسلمت الاذن من الناشرين ، رتبت امري أن اسير بالعمل سيراً منظماً لا يوقفني عنه الا القواهر كالمرض والطوارىء. ولكنى كنت لا أملك من المال ما يكفيني بضعة أشهر وأنا لا أجني شيئاً في أثناء ما انقطع اليه من الترجمة في غرفتي (البانسيون) . فاستطعت ان أحل هذه العقدة بأن رضيت معي صاحبة البانسيون ، أم جورج الفاضلة ، أن تقدم الي وجبة الصباح فقط . فيحق لها عندي اجارة البانسيون ومقابل هذه الوقعة ، لمدة أربعة أشهر ديناً، وذهبت الى السيد سليم الحداد ، لبناني الأصل مقيم في فلسطين من قبل الحرب العامة الأولى ، وهو صاحب « فندق فلسطين » و « مطعم فلسطين » وهو يعرفني جيداً منذ جئت فلسطين ، وعرضت عليه مثل ما عرضت على أم جورج ، ولكن مطلوبي منه أن اتغدّى عنده الغداء فقط ولا عشاء، لمدة أربعة أشهر ديناً ، فرضي

بكل طيبة خاطر . وبهذه الطريقة يمكنني أن أتحمل السير بالعمل ، سواء تيسر العشاء بطريقة أخرى أم لم يتيسر .

* * *

ترجمته في مئة يوم :

سلخت في عمـــل الترجمة مئة يوم[1] بالتمام . وكنت أنهض صباحاً وارتب شؤوني الخاصة بحيث اكون في الثامنة الى منضدتي ، كاني اعمل في دائرة رسمية . فأبيّـض مـــا ترجمته في اليوم السابق ، ثم اشرع في ترجمة الحصّة المعينة لي ، وهي ٣ صفحات لا أكثر ولا أقل ، ولا حدود لوقت انتهاء عملي بعد الظهر أو العصر ، فقد انتهي في الثالثة ، وعلى أقصى حد في الرابعـــة . بعد هذا الوقت اخرج الى لقاء اصدقائي وعلى الغالب في « قهوة بريستول » عند السور في باب الخليل . وفي المساء آوي الى مخدعي فاطالع الصفحات الثلاث الجديدة وأنا في السرير ، وأحلّ عقدها اذا كان هناك من عقد ، ثم أنام فأنهض في الصباح لأستأنف العمل على الوتيرة نفسها .

---

(١) لاحظت أن الاستاذ الفاضل احمد الشرباصي ذكر في كتابه المحيط القيّم « امير البيان شكيب ارسلان » في الجزء ٢ ص ٥٠١ اني امضيت في ترجمة حاضر العالم الاسلامي سنتين ، وذكر في الحاشية المصدر وهو جريدة الشورى عدد ١٦ ابريل ١٩٢٥ . والمدة التي انفقتهـــا في الترجمة هي مئة يوم على مـــا فصلت هنا ، ولكن الامير شكيباً بقي يفيض على العالم الاسلامي تعليقات مدة سنتين ، ولعـــل المقصود هذا بالاصل . رحم الله امير البيان وأعلى مقامه في الجنان .

وأما أجوبة بريدي فاكتبها ليلاً . وأمـــا وجبات الطعام فقد الفتها على الترتيب الذي وصفت .

* * *

كنت مدركاً وانا اترجم الكتاب اني لا استطيـع الانفاق على طبعه ، واذا عرضته على المطابع سخرت منك المطابـع اذ تعلم انك خالي الوفاض. والذين كان يقع لهم ان يطلعوا على الكتاب في اثناء الترجمة، كانوا يدهشون من محتوياته ويحاولون تزويدي بآراء خيالية تتعلق بالمال اللازم للطباعة . وبعد المئة يوم ، وضعت الاوراق مكانها في الغرفة ، وعلي ان اواجـــه شيئين : وفاء « المطعم » لسليم الحداد ، واجارة البانسيون لأم جورج ، ولكن المدة المتفق عليها اربعة اشهر فبقي من الأجل شهر تقريباً . وفي خلال هـــذه المدة زارني في فندق فلسطين عضو المجلس الاسلامي الاعلى عبد اللطيف صلاح ، (وكنت قد عرفته في دمشق سابقاً) وتكلم معي بشأن العمل في المجلس الاسلامي الاعلى ، ورئيسه سماحة الحاج محمد امين الحسيني . فاتفقنا وشرعت اعمل في المجلس ، وكتاب « حاضر العـــالم الاسلامي » حبر على ورق في غرفتي الخاصة. فاذا ما جئت ليلاً وراجعت بعض الفصول ، اقفلتها ثم قلت : ومتى يحل وثاقك ايتها الاوراق ! متى تجدين سبيلك الى المطبعة ؟

* * *

شرعت اتصل بالمطابع . في القدس ، مطبعة « دير الروم » وهي مطبعة كبيرة قديمة الطراز غـــير مناسبة . فطبعت فيها نشرة تعريف بالكتاب لاوزع هذه النشرة على الذين يريدون الاشتراك في نسخة يدفع ثمنها مقدماً ، فوجدت هذا الاسلوب عقيماً . والمطابع الاخرى في فلسطين لم اجد فيها بغيتي . فكاتبت « دار الهلال » في مصر ، واظن « المقتطف » ايضاً ، وبينما انا في هذا ، هبط القدس خالد الحكيم احد رجالات سوريا الوطنيين واخبرني ان المطبعة « السلفية » في مصر مستعدة لكل ما اريد وصاحبها الاستاذ محب الدين الخطيب نعم الأخ الصادق في هـــذا الباب . والاستاذ محب الدين كنت اسمع به في دمشق ايام فيصل ولم اجتمع به بعد.

* * *

ونظرت في النفقات الطباعية فبدأ لي من اهل الخبرة ان مشروع طبع هذا الكتاب لا يكلف اكثر من ١٥٠ ـ ٢٠٠ جنيه مصري (الجنيه الورق كان كالذهب) ، وتقلّ هذه التكاليف أو تزيد تبعاً المقدار المراد طبعه من النسخ .

وقررت اني مستعد بكل طيبة خاطر ان ابقى سنة أو سنتين أو ثلاثاً اعيش عيشة التقشف ، حتى أفي الدَّين الذي يلزمني من وراء طبع الكتاب . وكنت اذا استرسلت في حسابات التكاليف المالية ملت الى الخوف لعلّي اعجز عن الوفاء ، واذا جئتُ الكتاب وقرأت منه طائفةً

من ايّ فصلٍ من فصوله ، انقلبتُ مستصغراً حساب ارقام التكاليف مهما تعظم واستسهلت الصعاب .

طلبي من الامير شكيب ان يضع مقدمة :

والأمير شكيب قبلتي في تفكيري وأنا في الترجمة . فقلت الآن (وصارت السنة ١٩٢٣ والكتاب ظهر ١٩٢١ وبقي عندي في غرفتي سنةً مكنوزاً اطلُّ عليه ويطلّ عليّ بصمت) اكتب الى الأمير شكيب اطلب منه مقدمة في عدة صفحات تكون قلادة في جيد الكتاب . فكتبت اليه ، وأرسلت نسخة من تلك النشرة التي ذكرتها . وكانت هذه المكاتبة مني اليه الأولى بعد ١٩١٦ . فاذا بالأمير على جناح السرعة يقول بعد المقدمة ما اوجزه في هذه الفقرات وما استمر في بيانه :

١ ــ بعيد أن وصله كتابي ، جاءَه شبلي الجمل [١] وقال له : يا امير شكيب !! صدر كتاب بالانكليزية يبحث في أحوال العالم الاسلامي لكاتب اميركي عبقري ، أليس من سبيل الى نقله ؟

٢ ــ وصادف أن الامير شكيباً كان ماراً في أحد شوارع جنيف فرأى في الواجهة الكتاب الذي حدّثه عنه السيد الجمل ، مترجماً الى الفرنسية .

---

(١) شبلي الجمل من أعيان فلسطين في بيت المقدس ، كان عضواً في الوفد الفلسطيني الأول الى لندن للدفاع عن قضية فلسطين ، وكان في جنيف وقتها في مهمة الوفد ، وهو يتقن الانكليزية ، مفكـّر ، كثير النظر في الكتب ، واسع الثقافة وكان معظم عمله العناية بفن السياحة وترقيتها .

٣ ـ فاقترح الأمير ـ بعد علمه باتفاقي مع السلفية في مصر ـ ان ارسل اليه الترجمة فيطّلع عليها ويقيّد لديه ما يعنّ له من تعليق أو شرح أو ملاحظة بشكل حواشٍ حول النقاط التي تحتاج الى هذا . ثم يعيد اليّ الترجمة مع الحواشي فارتب ذلك وابعث به الى السلفية . واما المقدمة فامرها يسير ، تكتب بعد الفراغ من التعليق . ورقصت طرباً ، وحسبت أول الأمر ان التعليقات مهما تغزر وتتسع، فمرحباً بها اذ لا يعقل أن تزيد على ٤٠ ـ ٥٠ صفحة . واعلمت الاستاذ محب الدين بهذا الترتيب وشرعنا في العمل .

٤ ـ وبقي تقدير النفقات في نظري لا يحتاج الى تعديل يذكر حتى مع اضافة التعليقات . وليس بيدي شيء من فضلة المال . ومرتبي الذي اتقاضاه من المجلس الاسلامي الأعلى لم يكن فوق « المتواضع » ومع هذا لم يضعف من العزم . فسألت سماحة رئيس المجلس أن يمدني بقرض ٧٠ـ٧٥ جنيهاً لكي اقدمه عند ابتداء المشروع الطباعي الى السلفية ، فتفضل به ولم استطع أن افيه هذا القرض الاّ بعد سنتين أو أكثر ، ولا أنسى هذه اليد في سبيل « حاضر العـــالم الاسلامي » فذهبت الى مصر وقرأنا بسم الله الرحمن الرحيم .

٥ ـ ولما جعلت التعليقات تطّرد ، وتستطرد ، بقيتُ السنة الأولى غير هيّابٍ حساب المطبعة . ولكن في السنة الثانية صرت أعجز من أن أستطيع جعل مدفوعاتي توازى المطلوبات مني ، فبتّ أخشى الانهيار قبل أن ينجز طبع الكتاب ، وأحياناً كان الأستاذ محب الدين يستنجزني

التعليقات ، ويسألني أيمكنني أن أنجده بشيء من الدريهمات ، مهما تكن قليلات ، وعندما تشتدُّ بي الأنواء ، ويجفّ من جراري الماء ، أجيبه بأن ليس عندي غير صلاة الاستسقاء . وسلخنا في هذا سنتين من ١٩٢٣ ـ ١٩٢٥ وغير المبلـــغ الأول الذي اقترضته من سماحة رئيس المجلس ، لم استطع أن ارسل الى الأخ محب الدين إلا ما هو في حدود العشرة جنيهات أو الخمسة عشر وأحياناً كنت ارسل اليه تتمة المبلغ طوابع بريد دولية . وفي مرتين أو ثلاث لا اكثر استطعت أن أرسل اليه كل مرة فوق الثلاثين جنيهاً .. وفي أثناء السنتين لم يسألني الامير شيئاً يتعلق بسيري المالي ، ولا أنا شكوت اليه شيئاً من مصير يضعضع احوالى ، وبقيت الوقت كله استعذب الشدة الخرساء الصامتة ، وأجد لذّة ، في تحملها في سبيل الفيض الذي كان يفيضه الامير .

لما انتهى طبع الكتاب في ربيع ١٩٢٥ كان حساب السلفية قد بلغ مـــا يزيد على سبع مئة جنيه مصري وخمسين جنيهاً . وعجزت عن التسديد ، فرضي الاستاذ محب الدين أن نسدد الباقي من المبيع . وقد كان ذلك . وقد طبع من الكتاب ثلاثة آلاف نسخة[١] ، (النسخة جزءآن) وكانت ، التعليقات كلها من حرف صغير . عكس ما هو الحال في الطبعة الثانية ، وكنت احياناً استقرض من الاصدقاء ما أرسله الى « السلفية » في أثنـــاء الطباعة ، ومن هؤلاء الاصدقاء الشيخ عبد القادر المظفر والاستاذ عوني عبد الهادي رحمهما الله تعالى ، ولم استطـــع أن أفيهما

(١) كانت الطبعة ، الأولى تباع مجلدة ،وثمن النسخة ٧٥ قرشاً مصرياً .

القرضين الا بعد مدة ليست بالقصيرة جزاهما الله في الجنان خيراً . ولما انتهى طبع الكتاب سألت الامير كم يريد منه لنفسه فقال خمس مئة نسخة ، فتسلمها في القاهرة الامير عادل رحمهما الله . هذه قصة « حاضر العالم الاسلامي » وكيف خرج هذا الكتاب من القوة الى الفعل ، احببنا بسطها بحقائقها على هذا الوجه لننتقل بعد ذلك الى الردّ على من قال من الفضلاء انه لو فصلت التعليقات التي وضعها الأمير عن المتن الاصلي الذي وصفه المؤلف الاميركي ، لكان ذلك اجدى على القارىء ، من حيث التيسير عليه أن يطالع كتاباً منسّق الجهاز ، ليست موضوعاته تفاريق في مواضع شتى ، وأجدى على الأمير إذ كان ينطلق بعبقريته الفيّاضة الموسوعية الى أفق مستقل في موكبه الوهاج الذي يكون منه هنا ، كما كان منه هناك في امهات كتبه الأخرى « كالحلل السنوسية » أو التعليق على ابن خلدون .

* * *

اسباب فوضى التعليقات على « حاضر العالم الاسلامي »

ونقول :

١ ـ هناك اسباب دعت الامير شكيبا أن يطلق لفوضى تعليقاته العنان في « حاضر العالم الاسلامي » وكان ذلك خيراً وبركة فاني في كتابي المخطوط لتاريخ حياته الذي وصفته ، وسيطبع قريباً ان شاء الله ، بيّنت هذا ، وانما هنا أوجز هذه الناحية ايجازاً إذ المقصود بيانها

لا تفصيلها. فان الامير بعد اصدار كتبه الأدبية الاولى[1] وآخرها سنة ١٨٩٨، وكان قد بلغ الثلاثين أو اجتازها، عند صدور الكتاب الرابع[2]، صارت « السياسة اللبنانية » « اليزبكية الجنبلاطية » تشغل باله اكثر فاكثر ،

(١) وهي « الباكورة » او ديوان شعره ١٨٨٧ سنة وفاة والده الامير حمود – « الدرة اليتيمة » لابن المقفع ١٨٩٣ – « رواية آخر بني سراج » ١٨٩٧ – « رسائل ابي اسحق الصابي » ١٨٩٨ – ونعتبر في أمر هذه الكتب طبعاتها الاولى وان تجدد طبع بعضها بعد الحرب العالمية الاولى .

(٢) سنة ١٩٠٢ اتفق الامـــير شكيب وصديقه نجيب سرسق الثري اللبناني على القيام بمشروع انشاء جريدة عربية في القاهرة يتولى تحريرها الامير شكيب ، ويعاونه فيها صديقه امين ناصر الدين صاحب « الصفاء » في « عبيه – لبنان » وناصر الدين من أئمة الأدب والشعر وتخرج اول أمره في الصحافة على شكيب ويعدّه استاذه . وتمّ كل شيء . ولكن حدث بعد ايام قلائل أن الأمير مصطفى ارسلان قائمقام « الشوف » اعتزل المنصب ، فمين المتصرف نعوم باشا ، صديقُ الامير مصطفى ، الامير شكيباً للقائمقامية ، وذلك لأول مرة ، محل عمه الامير مصطفى ، فوقف مشروع انشاء الجريدة في مصر . ولم يطل وجود شكيب في القائمقامية ، اذ بعد قليل انتهت مـــدة نعوم باشا ، وجاء المتصرف الجديد مظفر باشا (١٩٠٢ – ١٩٠٧) فتنكر لشكيب وما زال يضايقه حتى اضطره الى ترك المنصب غير آسف عليه . ويبدو ان المهاز الاول في هذه الفكرة ، انشاء جريدة بمصر ، كان رغبة شكيب في ان يكون في ملاذ استاذه الاستاذ الامام الشيخ محمـد عبده في الدعوة والاصلاح والايقاظ ، على نحو ما صنع صديق شكيب السيد محمد رشيد رضا من الهجرة الى مصر من طرابلس الشام وانشاء « المنـــار » سنة ١٨٩٨ ولو تم مشروع شكيب لكان للاستاذ الامام لسانان يترجمان افكاره : « المنار » الشهري ، والجريدة اليومية . انتقل الاستاذ الامام إلى رحمة ربه سنة ١٩٠٥ .

مسانداً لعمه الامير مصطفى (ت ١٩١٤) كما تشغل باله في الوقت نفسه « السياسة العثمانية » بوجه الحصر والخلافة قائمة ، و « السياسة الاسلامية العامة » المراد تقويتها لصد المطامع الغربية . فكان الامير شكيب في لبنان يدور في فلك وحده تقريباً ، في متابعة هذه الاتجاهات ومناصرتها . نعم كان له اعوان وانصار ، ولكنه هو الحادي واليعسوب . ولما اعلن الدستور العثماني ١٩٠٨ انفتحت آفاق جديدة امام الامير ، وطلعت الحركة الطورانية فدعت الى خلق الحركة العربية . وامتد هذا التيار ست سنين الى الحرب العامة ، ثم جاءت الحرب بويلاتها وكوارثها ، وكان هو قد اصبح نائب حوران في البرلمان العثماني منذ ١٩١٣! وشغلته فتكات « السفاح » احمد جمال باشا بالعرب فانتقل الى الآستانة اواخر ١٩١٦ وبقي هناك وفي اوروبا الى نهاية الحرب وما بعدها ، وسدت عليه طريق الرجوع الى سوريا ولبنان ، وحتى الى العالم العربي كله لتقاسم امر الاستعمار فيه بين الدولتين الكبيرتين فرنسا وبريطانيا .

فهذه مدة لا تقل عن ٢٤ سنة انقطع فيها الأمير عن التاليف[١] ، ولكنه بقي من حيث المراقبة لسير الأحوال في اوروبا والعالم الاسلامي ، عيناً ساهرة وقلباً تارة يئن وطوراً يطرب ، ونبضه أبداً كقطعة من

(١) الاّ ما كان من أشياء لا تعدّ تأليفاً ككتابه « مظفر باشا » الذي ينسب اليه قطعاً ، ووضعه سنة ١٩٠٧ وطبعه في الاسكندرية طواه على نقد عهد هذا « المتصرف » الذي حكم لبنان سبع سنين هوجاء ونال هذا المتصرف من الارسلانيين كثيراً فانتقم منه الأمير شكيب بهذا الكتاب .

نور الشمس . فاصبح صدره شديد الامتلاء بالمعلومات الاسلامية خاصة ، ولم تواته الفرصة بعد ، لينقل شيئاً من ذلك الى التسجيل أو التدوين أو التاليف . وأمسى كاساً دهاقاً ولم تكن لتفرّج عنه المقالات الصحفية مهما تطل وتتنوّع .

٢ ـ ان الاحتلالات الأجنبية المستعمرة لبلاد العرب الآسيوية باسم « انتدابات[١] » مزيفة ، بعد ١٩٢٠ زادت الأمير مشاغل ومشاده ابتلعته ابتلاعـــاً ، ولكنه لا يستطيع الانصراف الى التاليف لسببين : ضيق الوقت ، ولا فضلة مال لديه للانفاق على الطبع وما اليه . ولنلاحظ مـا يتعلق بردوده المفحمة بعد الحرب على النفر العاقّ الشارد الذين راحوا يتهمونه بانـه كان عوناً « للسفاح » احمد جمال باشا ايام الحرب من سوريا ولبنان في أعمال التنكيل والنفي . فان « السفاح » طلب من الاستانة بعد أن رأى شكيباً مجاهراً بجوره ، أن يبطش بالارسلانيين شكيب وأخيـه عادل كما بطش بغيرهما ، فلم توافقه الآستانة . واستطاع شكيب النجاة من الطاغية إذ أتاه خبر من صديقه عبد العزيز جاويش ان اخرج من سوريا فخرج وسَـلِمَ ، ولا عبرة انه بعدئذٍ اجتمع بالسفاح في فروق ، فاحترق الأمير شوقـــاً الى الرد على اولئك المتنزّين عليه ، وبقي هكذا حتى لقي صديقه وأخاه القديم السيد محمد رشيد رضا في جنيف في المؤتمر السوري

(١) ان فكرة خلق طريق جديدة بعد الحرب الأولى للاستعمار ، وهي « الانتداب » هي من صنع الصهاينة ليتدرج مشروع التهويـــد تحت اسم « انتداب » .

الفلسطيني سنة ١٩٢١ وكانت التيـارات السياسية قد فرقت بينهما تسع سنين ، فاتفق الاثنان على أن تنشر مجلة « المنار » في مصر للأمير ما عنده من الكشف والبيان حول مآسي الحرب. وبقيت « المنار » تنشر هذا سنة ١٩٢٢ تحت عنوان « كوارث سوريـــة في سنوات الحرب من تقتيل وتصليب ومخمصة ونفي ـ مشاهدات ومجاهدات شاهد عيان ، هو الامير شكيب ارسلان » لمدة لا تقل عن سبعة أشهر . وكان أولى لو أن ما نشر في « المنار » عاد فطبع في كتاب على حدة ليعمّ انتشاره ، فلم يكن على ما يظهر من سبيل الى هذا ، واما فكرة هذا الكتاب فلا يعقل انها غابت عن الأمير . ولعل السبب الحقيقي عدم توفر المال .

٣ ـ فلمـــا كتبتُ اليه أرجو منه مقدمة للكتاب ، وبيّنت له اني مهاجر الى الله فيه ، واطلع على ما قال ستودارد في فصوله ، فكأني قـد قدّمت الى الأمير ندّى الله ثراه ، وجعـــل الجنان مثواه ، « مفتاحا » للسدّ العظيم الذي يحمله في صدره ، وارجو من القارىء ألاّ ينسى ما قلته من غبطتي بذلك .

نضيف الى هذا « المفتاح » :

١ً ـ حصافة المؤلف وعدله في الاحكام مما يغري القارىء المنصف بالسير في قافلته الى غاية الشوط ، فكيف اذا كان هذا القارىء هو الامير شكيب الصائم عن التأليف ٢٢ سنة وأكثر .

٢ً ـ ستودارد ليس بمسلم ليحيط بكل الدقائق ، مع اجادتـــه

التقرير والوصف . والأمير شكيب ميزان العالم الاسلامي فمع ارتياحه الى ستودارد احب تصحيح النقاط التي تحتاج الى تصحيح .

٣ً ـ من فطرة الامير شكيب انه اذا لبّى ، لبّى من الألف الى اليـــاء .

٤ً ـ فاندفق يكتب سنتين ، وهنا انحلت معه عقدة الوقت لأنه أي عمل أقدس من هذا العمل ؟

٥ً ـ وأما نفقات الطبع ، فما كانت من وقتها من جهتي تصطكّ لها الركب في السنة الاولى كما ذكرت .

٦ً ـ فعاد الى الكتابة وأي كتابة ؟ أحبُّ الكتابات اليه ـ جاء موعدها

٤ ـ لولا ان يسوق القضاء والقدر اليّ هذا كله ، لما كان هناك شيء من « حاضر العالم الاسلامي » سوى ستودارد ، ومهما علا في بابه وأثنى عليه الناس ، فانه يبقى ستودارد . ولكن لما اقترن الغرب بالشرق كان هذا الكتاب .

فكرة الفصل بين المتن والتعليقات

هندسة بعد البناء

اودّ من القارىء ان يتذكر ما قلته بشأن « المقدمة » التي طلبتها من الامير ، وجوابه ، رحمه الله .

لما راح الأمير يفيض ، كانت امانينا ان يفيض ما شاء . والمهماز ، هو ستودارد ، فالصلة بين المتن والتعليق غير قابلة القطع أو العزل ، وليست هي هنا الاولى من نوعها في عالم الكتابة والتاليف . الا شيئاً واحداً كان بالامكان عمله لو كان الاطلاع على الغيب مستطاعاً : وهو ان نطبع كل تعليقات الامير ، بعد طبع الاصل لستودراد ، في اجزاء متتابعة ، مبتدئين بجزء حاضر العالم الاسلامي للمؤلف . ولكن الامير نفسه لم يكن يعلم اين يقف او اين ينتهي . ولا حصر قلمه في نطاق ستودارد . بل كان اما ان يحمل ستودارد على منكبيه ويطوف به من الصين الى غرب افريقيا، واما ان يدعه مستريحاً في عشه ، ويطير الامير وحده كل مطار . مهاميز ستودارد عادت لا تكفي ، ولكن هذا العالم الاسلامي الذي يتغنى به شكيب منذ اكثر من ٤٢ سنة ، اصبح بين يديه « دار الاسلام » في رقعة متماسكة ، تتطلع الى غد واحد .

ولكن بعد ان انتهى الفيض، وجاء الكتاب في طبعته الاولى والثانية على ما رأينا ، ابتدأت « الفكرة » الهندسية تقترح ، واول من اقترحها

السيد محمد رشيد رضا طيب الله ثراه وعرض هذه الفكرة على الامير مراراً وتكراراً ، غير ان الامير لم يأخذ بهذه الفكرة . وقد وردت هذه المسألة في عدة مواضع من رسائل الامير الى السيد رشيد في كتاب « السيد رشيد رضا او اخاء اربعين سنة »[1]

واما طبع المادتين ، الاصل والتعليقات ، على الوجه الذي ذكرته هنا ، فامر ممكن في أي وقت متى ما تيسرت اسبابه المالية .

فكرة تنمية الكتاب الى « موسوعة او معلمة اسلامية » .

اني لا اعلم ان هذا الخاطر خطر ببال الامير وقت بدأ يكتب التعليقات ولكن لما جمعت هذه المعلومات القيمة ، من صدر الامير ومن الكتب التي اقتناها من اجل هذه الغاية ، صارت ذات صبغة موسوعية ضمن نطاق اسلامي محدود ، وليس قلب الكتاب كله ، اصلاً وتعليقـــاً ، الى شكل موسوعي ، امراً سهلاً ، ولكن مما يسهل الاستفادة منه والرجوع اليه هو الفهرست المنظم ، وقد احتوت عليه هذه الطبعة الثالثة ، اما الثانية فقد خلت من أي فهرست ، واما الاولى فقد اشتملت على فهرست كامل .

---

(١) علمت من الرسائل المتبادلة بين الامير والسيد رشيد مما هو منشور في « كتاب السيد رشيد رضا او اخاء اربعين سنة » للامير ، وفي كتاب « امير البيان شكيب ارسلان » للاستاذ الشرباصي ، ان السيد رشيد سأل شكيباً لو كنت اطبع الكتاب بمطبعة المنار ، فاجابه شكيب اني اتفقت مع السلفية وانتهى الأمر .

التعليقات كلها كتبت خصيصاً

« لحاضر العالم الاسلامي »

ذكر المؤلف الفاضل الاستاذ احمد الشرباصي حول « حاضر العالم الاسلامي » والتعليقات عليه ، والتوسع والاستطراد ، في الجزء الثاني من كتابه امير البيان شكيب ارسلان :

« وقد حدثني الاستاذ محب الدين الخطيب صاحب مجلة « الفتح » ان اغلب تعليقات شكيب على كتاب « حاضر العالم الاسلامي » لم تكتب خصيصاً للكتاب ، بل كانت عنده من قبل، والتمس لها المناسبات في الكتاب ووضعها »[1] .

ولما كانت هذه النقطة ذات بال ، وهي في نظرنا ضرب من الوهم ، فاننا مطالبون بحكم امانة التاريخ ان نزيل هذا الوهم بما لدينا من علم بالموضوع كله ، ولما كان لنا من صلة مباشرة بواضع التعليقات رحمه الله ، فنقول :

١ ــ بيّنت الطريقة التي كانت بها تقدّم الفصول والتعليقات الى المطبعة السلفية ، فكل ما خطه قلم امير البيان من تعلىق كان يرسله إليّ أولاً (في بيت المقدس) فانسّقه ثمّ أبعث به الى الأخ محب الدين.لم يرسل الامير كلمة واحدةً ، منه الى المطبعة تواً . والكتابة كلها بخط يده ، وأما التصحيح فقد كان يتولاه الاخ محب الدين .

(١) كتاب « امير البيان ــ شكيب ارسلان» تأليف الاستاذ احمد الشرباصي الجزء الثاني ص ٥٠٣

٢ ـ والكتابة كلها بكر ، ونسجٌ جديد إلاّ ما كان سبق لامير البيان الكتابة في موضوعه طول حياتــه الماضية ، فقد يشير اشارةً الى سبق علاجه الموضوع، وهذا يكون واضحاً ، وعلاجه الجديد بكلام جديد

٣ ـ الاّ مرة واحدة ، وهو يكتب عن « الاسلام في الصين » أرسل اليّ بضع صفحات من « المقتطف » تحتوي على بحث له في هذا الموضوع نشر في أول هــذا القرن . وغير هذا لا أذكر شيئا آخر من قبيل تقديم تعليق مهيـأ من قبل . هذا في الطبعة الأولى، أما في الطبعة الثانية ١٣٥٢ فقد ازدادت ابحاث الاسلام و المسلمين في الصين زيادة كبيرة ، حتى بلغت على تنوع موضوعاتها ٨٩ صفحة . وقال الامير في حاشيته في ص ٢٢٩ من الجزء الثاني ان هذا البحث كان قد نشره في المقتطف سنة ١٩٠١ ثم اضاف اليه معلومات مستجدة .

٤ ـ لم يسالني الأخ محب الدين شيئاً يتعلق بهذه النقطة ، ولو سالني لأجبته بما لا يزيده علماً إذ كان هو رحمه الله ، يصحح الملازم ولو كان معظم التعليقات مهيئاً من قبل ، لما احتاج الامير الى سنتين وهو يكتب ، ولـكان الكتاب أنجز طبعه قبل ربيع ١٩٢٥ بوقت طويل . رحم الله من علّـق وصحّـح . وكنت قد استعدت من « السلفية » جميع الاصول أو معظمها بعد الفراغ من الطبع لأبقيها من ذكريات الأمير عندي ، وسنة ١٩٤٨ ذهب كل هـذا مع مكتبتي وبيتي في القدس الى اليهود . حمى الله فلسطين من القوم الباغين .

وهذه الطبعة الثالثة نرجو أن يتقبلها العالم الاسلامي بقبول حسن

كما تقبل الطبعتين الأولين ، فقد أمسى هذا الكتاب من كتب التراث الاسلامي ، وإذا لم يبلغ بحسن التنسيق في فصوله وتعليقاته المبلغ الذي يرضي فن التاليف ، فان مادته العلمية وهي التبر احياناً ، والذهب المصفى احيانا أخرى ، باقية على جوهرها . وكلما طال الزمن وامتدت الايام ، كثر البحث عن هذه الناحية أو تلك من نواحي الأمير شكيب. فالاحتفاء بكتبه ودراستها ونقدها [1] ، عسى أن يتسع حتى يشمل دراسة حياته في آماله وآلامه .

شكر « دار الفكر » في بيروت :

واني أشكر « لأصحاب دار الفكر » في بيروت ، مزيـــد عنايتهم باخراج هذه الطبعة الثالثة على ما يرى القارىء من الاتقان . وما هو فوق هذا قيمةً ، تجنّدهم الروحي لخدمة العالم الاسلامي عن طريق نشر هذا الكتاب ، وبنشره يضاف سفر خالد الى مكتبة التراث الاسلامي .

(١) المحبّون « لحاضر العالم الاسلامي » خاصة ، ولكتب الأمير شكيب عامة ، وهم موزعون في العالم الاسلامي ، والقارات كلهـا ، يجدون طلبتهم على خير وجه في ثلاثة كتب تمشي في الطليعة :

١ً – « محاضرات عن الأمير شكيب ارسلان » القاها الدكتور سامي الدهان في معهد الدراسات العربية العالية في جامعة الدول العربية ١٩٥٨ .

٢ً – « أمير البيـــان شكيب ارسلان » تأليف الأستاذ أحمد الشرباصي في جزءين مجموع صفحاتها ٩٣٣ صفحة ١٩٦٣ .

٣ً – « ذكرى الأمير شكيب » صنفها ووقف على طبعها الأستاذ محمد علي الطاهر – ١٩٤٧ وفي هـــذا الكتاب اكبر مجموعة للأقوال والآراء في الأمير شكيب من عارفيه في العالم بعيد وفاته رحمه الله .

صفوة ترجمة لوثروب ستودار Lothrop Stoddard

مؤلف « حاضر العالم الاسلامي »

ولد سنة ١٨٨٣ في بروكلين ، في اميركا ، وكان ابوه خطيباً واعظاً جوالاً ، وبعد قليل وقع الفراق بين ابيه وامه ، فاحتضنته امه وهو صغير. وكانت تحب الرحلات وتصطحب وليدها معها، وهي كانت عليلة فغلبت على الولد محبة العزلة والمطالعة الهادئة ؛ ولما ترعرع صار يميل الى دراسة البيئة وملاحظة حياة الناس ، وظهر منه ميل شديد الى تحصيل اللغات ولا سيما الالمانية في داخل جامعة هارفرد ١٩٠١ وامتاز بالآداب.

وكان ابوه يريده ان يكون محامياً ، فشاء الله ان يجعله كاتباً اجتماعياً ومؤرخاً لكثير من الثورات وحركات التطور في العـــالم . وتخرج من هارفرد سنة ١٩٠٥ واضطر ان يتابع رغبة ابيه فدخل جامعة بوستن ونال شهادة دكتور في الحقوق سنة ١٩٠٨ وقبل ان يشرع في ممارسة المحاماة قام برحلة الى اوروبا دارساً مدققاً ، فهاله اذ رأى ان اوروبا تقترب من فوهة بركان ، وبعد قليل كانت الحرب الاولى .

ورغم دفع ابيه له نحو ممارسة المحاماة فانه عاد الى ما هيـــأه الله له ، وبدأ الكتابة ، فالف بين ١٩١٤ و١٩٤٠ سبعة عشر كتاباً، فـكان « حاضر العالم الاسلامي » الخامس من كتبه سنة ١٩٢١ .

من كتبه هذه وقد اشتهرت :

« الثورة الفرنسية في سانتو دومنجو » (١٩١٤)

« نهضة الشعوب الملونة » (١٩٢٠)

« الثورة على الحضارة » (١٩٢٢)

« الطبقات الاجتماعية في اوروبا بعد الحرب » (١٩٢٥)

« الانسانية تحت سيطرة العلم » (١٩٢٦)

« الحظ : شريكك الصامت » (١٩٢٩)

وسنة ١٩٢٤ قام بسياحة الى الشرق الأوسط وزار فلسطين والاردن ومصر وتركيا وغيرها . واجتمعنا به في بيت المقدس وكانت بيننـــا احاديث مفيدة ، ودعاه سماحة رئيس المجلس الاسلامي الاعلى الحاج محمد امين الحسيني الى وليمة فاخرة تكريماً له في بيت المقدس ، وصحبته الى الاردن ضيوفاً على الملك عبدالله اربعة ايام ، فعرفت فيه علو تهذيبه وبعد نظره وسعة علمه . ولما قفل راجعاً بطريق اوروبا ، زودته بكتاب الى الامير شكيب في سويسرة ، ولكنه لم يلقه اذ كان الامير خارج البـلاد ، فاجتمع به بعد ثلاث سنوات في اميركا لما لبى الامير دعوة الجالية العربية لحضور مؤتمرها هناك سنة ١٩٢٧ وكان لقاؤهما لقاء الصديقين العـــالمين جمعهما الله في كتاب واحد .

وكانت المـكاتبة بيني وبين ستودارد كل فترة واخرى تنبئني عن المزيد من الفضل فيه . وكان يهديني كتبه مما ذكرت هنا وغيرها ويرسل الي نسخة من كل مقالاته الفريدة في « ساترداي ايفنن بوسط » المشهورة . ولكن انقطعت الكتابة بيني وبينه في خلال الحرب الثانية ، فلما وضعت الحرب اوزارها ، عدت الى مراسلته، وكان ذا صلة حسنة برجال التمثيل الدبلوماسي العربي في اميركا .

تزوج مرتين . وسنة ١٩٥٠ انتهت حياته فرثاه كثيرون في الصحف والمجلات . اوسع كتبه انتشاراً هو « حاضر العالم الاسلامي » اذ ترجم الى التركية والالمانية والفرنسية ، فضلاً عن العربية .

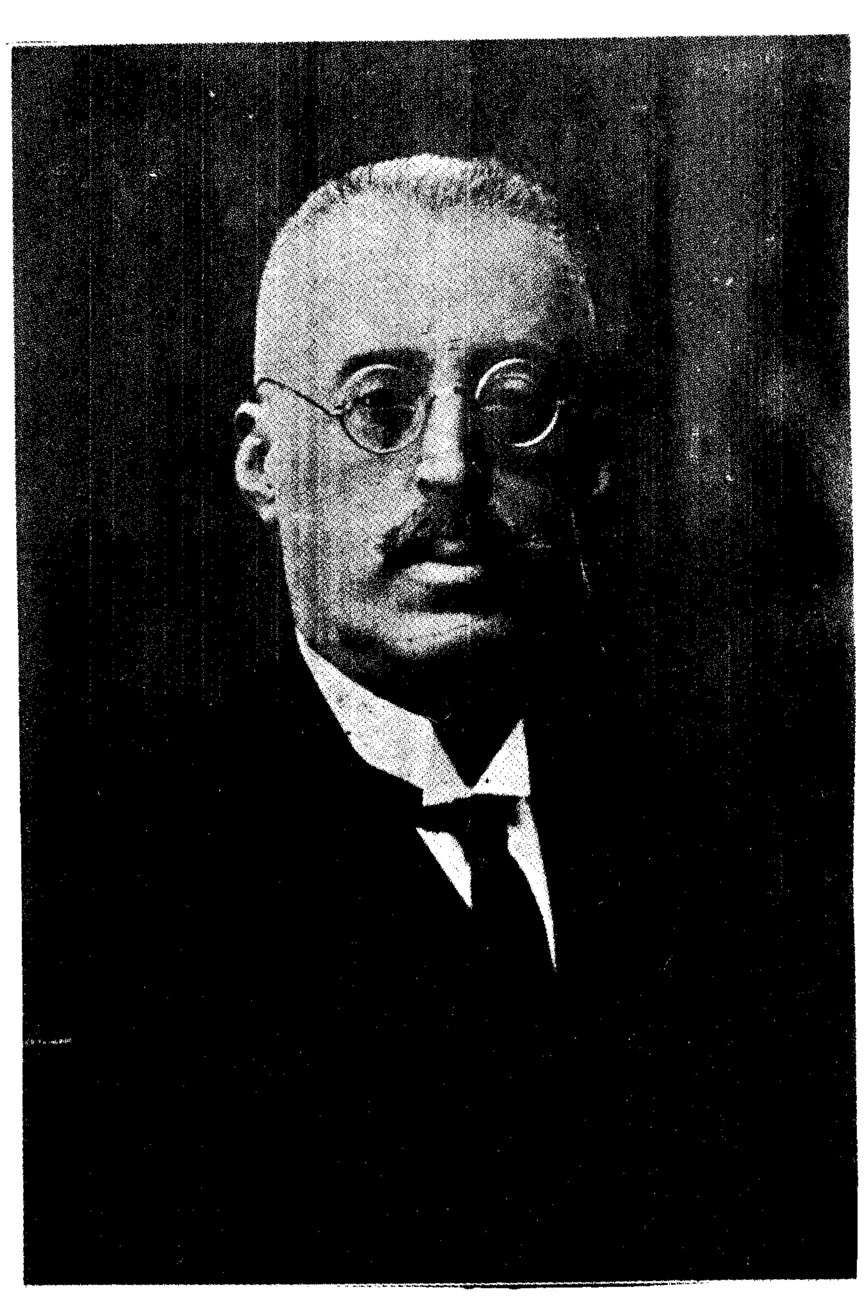
وكان يريد اخراج طبعة جـــديدة منه ، مستوعبة صفوة التطور الاسلامي الى منتصف القرن ، اذ مساقه في علاج القضايا والمسائل يقف عند ١٩٢١ ، فعاجلته المنية ، جزاه الله خيراً .

ربيع الثاني ١٣٩١ — عجاج نويهض

حزيران (يونيو) ١٩٧١ — (رأس المتن – لبنان)



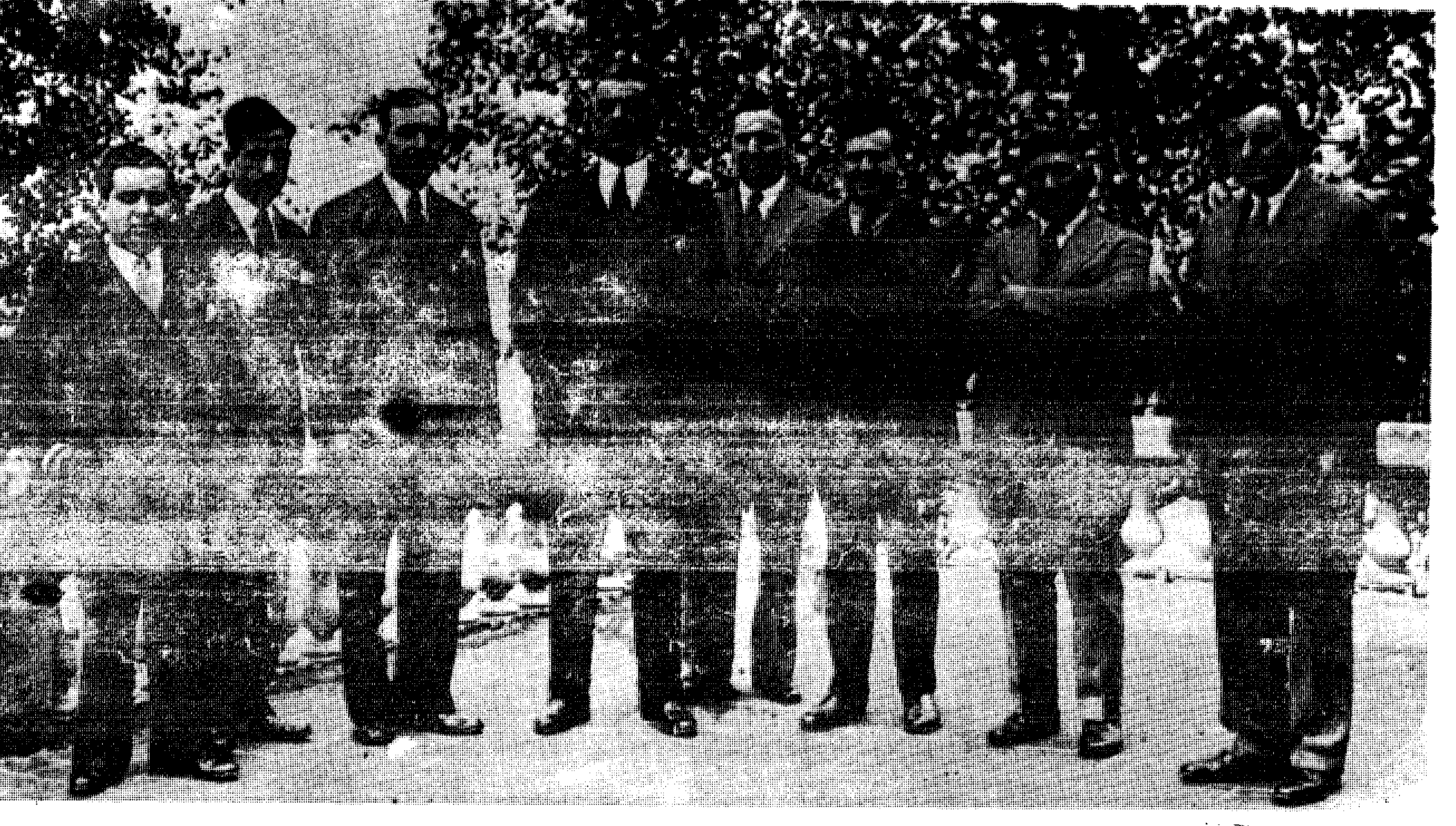
الامير شكيب في الخامسة والعشرين من عمره - كانون الثاني ١٨٩٥



صاحب العطوفة الأمير شكيب أرسلان



المؤلف لوثروب ستودارد



في سنة ١٩٢٩ ، وقعت الثورة العربية الفلسطينية الكبيرة المعروفة بثورة « البراق الشريف » أرسل رئيس « اللجنة المركزية لاغاثة منكوبي سورية » سماحة الحاج محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس « المجلس الاسلامي الاعلى » وفدا عربيا الى اميركة للعمل من اجل قضية فلسطين واستنهاض همم المهاجرين العرب والمسلمين وكان الوفد مؤلفا من المجاهد بالسيف والقلم الامير عادل ارسلان شقيق الامير شكيب « في الوسط فارع الطول » ومن يساره الاستاذ البندك وبقية الوفد .